

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة الرابعة عشرة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديما على كلمه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكدا أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط، وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان، قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. واعتبر الرسول بولس أن عهد الناموس كان عهدا شرطيا ومؤقتا. وكشف أنه في الوقت المعين أرسل الله المخلص المسيح، الذي دفع ثمن خطايانا بموته الكفاري. وأوضح أن التقيد بأنظمة الناموس هو عبودية جديدة.

وهاجم الرسول بولس أولئك المعلمين الكذبة الذين يحاولون خداع المؤمنين البسطاء. و كشف كيف يجاهد من أجل المؤمنين لكي يتصور المسيح فيهم. أي لكي يصبحوا مشابهين للمسيح في كل نواحي حياتهم. ثم بدأ بالحديث عن سيرة إبراهيم الخليل، وكيف كان له ابنان، الأول إسماعيل ولد من الجارية هاجر بحسب الجسد، أي باستحسان بشري. والثاني اسحق ولد من زوجته سارة العاقر الحرّة، بحسب موعد الله لإبراهيم.

كما ذكرنا في اللقاء الماضي، فإن الرسول بولس أراد من التحدث عن ولادة الابنين لإبراهيم، الكشف عما ترمز إليه وتشير من حقائق روحية هامة في العهد الجديد. فإلى ماذا ترمز هذه الولادة يا ترى؟

أجابنا الرسول بولس عن هذا التساؤل بقوله: "وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر." (غلاطية ٤: ٢٤) لقد كانت ولادة الابنين لإبراهيم إذن، ترمز وتشير إلى حقائق روحية هامة. فالجارية هاجر والدة الابن الأول الذي ولد بتخطيط من سارة وإبراهيم، كانت ترمز إلى عهد الناموس الذي عقده الله مع بني إسرائيل في جبل سيناء. فلقد أعطى الله الناموس أي الشرعية لبني إسرائيل، من خلال كلمه النبي موسى على جبل سيناء. وهذا الناموس يطلب من الإنسان أن يفعل بما جاء فيه لكي يحيا. أي على الإنسان أن يسعى بقوته الجسدية لتطبيقه. ولهذا قابل الرسول بولس الجارية هاجر، التي أتت منها الابن الأول لإبراهيم، بتخطيط جسدي وباستحسان بشري، قابلها بعهد الناموس، لأنه عهد يعتمد على أعمال الإنسان وليس على وعد الله وعمله.

لكن الرمز لم ينته هنا، فهاجر كانت جارية أي مستعبدة، وعليها أن تطيع سادتها في كل شيء، وبدون أي اعتراض. وهكذا عهد الناموس هو عهد العبودية، لأن الناموس يستعبد الإنسان بقوانينه الحرفية ونظامه الصارم. ولقد كشف عهد الناموس كما نذكر دائما، مدى عبودية الإنسان للخطية. فالإنسان بمحاولته السير بمقتضى شريعة الله اكتشف مدى عجزه وقصوره، ومدى عبوديته بالتالي للخطية، وحاجته إلى الخلاص. وتعبير آخر أراد الرسول بولس القول: أنه إذا كان عهد الناموس هو عهد العبودية، كما رمزت إليه هاجر، فهل من المعقول أن يفكر المؤمن بالمسيح والذي حرره الله من العبودية، أن يعود إلى عهد العبودية من جديد؟

ثم كشف الرسول بولس هنا حقيقة هامة أخرى، إذ أضاف قائلاً: "لأن هاجر جبل سيناء في العربية. ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بينها." (غلاطية ٤: ٢٥) إن تعبير أورشليم الحاضرة، يشير إلى الديانة اليهودية أو الأمة اليهودية، والتي كان مركزها في أورشليم. أما تعبير "بنيها" أي بني أورشليم، فهو يشير إلى اليهود الذين رفضوا الإيمان بالمخلص المسيح. وكما كانت هاجر ترمز إلى عهد الناموس الذي تمّ في جبل سيناء، فهي ترمز أيضا إلى الديانة اليهودية. وبما أن عهد الناموس هو عهد العبودية، فلكذلك اليهودية مازالت مع بنيها اليهود، تحت العبودية الروحية.

ولنلاحظ يا صديقي أن الرسول بولس هنا ربط اليهود بهاجر وليس بسارة، مع أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم من نسل إبراهيم وسارة بحسب الجسد. وهذا يؤكد أنه بعد مجيء المخلص المسيح لم يعد للنسل الجسدي أي اعتبار. إن الاعتبار المهم الوحيد أمام الله الآن هو الاعتبار الروحي. فإذا لم يؤمن اليهودي بالمخلص المسيح، لا يُحسب ابنا لإبراهيم، كما ذكرنا في حلقة سابقة، بينما إذا آمن بالمسيح أي إنسان، حتى ولو كان غير يهودي، يصير من نسل إبراهيم الحقيقي.

ماذا تعلمنا هذه الحقيقة الهامة التي كشفها الرسول بولس؟ أن هاجر والدة إسماعيل ترمز وتشير إلى عهد الناموس. تعلمنا أن اليهود لم يعودوا شعب الله كما كانوا في العهد القديم قبل مجيء المخلص المسيح. فقد تبدل الوضع بالكلية بعد مجيء المخلص المسيح، وصار كل من يؤمن بالمسيح يعتبر من شعب الله. إن شعب الله بعد مجيء المسيح أصبح يشمل كل المؤمنين الحقيقيين بالمسيح، ومن أية جنسية أو شعب أو أمة كانوا.

أما بالنسبة لليهود أو لبني إسرائيل فلقد انتهى اعتبارهم شعب الله. وهو ما عبّر عنه المخلص المسيح نفسه عندما تحدث بمثل الكرم والكرامين. والذي شرح فيه المسيح تاريخ علاقة الله مع الشعب اليهودي. قال المسيح في هذا المثل: "كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر." (بشارة متى ٢١: ٣٣) والمقصود برب البيت هنا هو الله نفسه الذي تعامل مع بني إسرائيل. فلقد أعطى الله الشريعة لبني إسرائيل عن طريق كلمه النبي موسى. وحدد لهم الفرائض والطقوس التي عليهم أن يمارسوها، ويعبدوه من خلالها.

لكن الذي حصل بعدئذ كما أخبرنا المسيح في هذا المثل قائلاً: "ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبده إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا. ثم أرسل أيضا عبدا آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك." (بشارة متى ٢١: ٣٤-٣٦) وهذا يشير إلى الأنبياء الكثيرين الذين أرسلهم الله إلى بني إسرائيل قديما، فلم يسمعوا لهم، لا بل اضطهدوهم وقتلوهم. ولهذا قرر الله أخيرا أن يرسل لهم ابنه كلمته الأزلي.

إذ أضاف المسيح قائلاً: " فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه." (بشارة متى ٢١: ٣٧-٣٩) وهذا يشير بالطبع إلى إرسال الله للمخلص المسيح، الذي عندما رآه رؤساء اليهود تأمروا عليه وأسلموه للموت صلبا، طائنين أنهم بذلك يقضون عليه.

وعندها سأل المسيح مستمعيه من اليهود قائلاً: "فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له. أولئك الأردباء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها." (متى ٢١: ٤٠ و٤١) فأجابهم المسيح قائلاً: "لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره." (بشارة متى ٢١: ٤٣) وبتعبير آخر إن امتياز وضع اليهود كشعب خاص يملك الله عليهم، قد انتزع منهم، بسبب رفضهم للمسيح وصلبهم إياه. وفي نفس الوقت أُعطي هذا الامتياز أي ملك الله أو ملكوته لأمة أخرى. هذه الأمة الجديدة التي تضم كل المؤمنين الحقيقيين بالمخلص المسيح، من كل القبائل والشعوب والأمم.

ألا تود مستمعي العزيز أن تصبح من شعب الله؟ وأن يملك الله على حياتك؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح، الذي مات على الصليب ليكفر عن ذنوبك، وقام من بين الأموات ليهبك الحياة الروحية الجديدة والخلود.